السيرناس او ابو سيراس

اللغة العربية في حاجةٍ ماسة الى لغويين مدققين يتتبعون ما ورد فيها من غامض الالفاظ ومغلق شرحها ليعرف على التحقيق فيتخذ في التكلم او الكتابة او التعريب وبذلك يعود الى اللغة جلاؤها من جهة ونحن نقف على اسرار ما كتبهُ السلف في مباحث العلم والفن من جهة اخرى

هذه كلمة السيرناس او ابوسيراس فقد بحثتُ عنها مدةً تنوف (١) على ثلاثين سنة لاعلم معناها ولم ازل اتقصّى في التحقيق عنها حتى اظنني بلغت الغاية منهُ

قال الدميري (في النسخة المطبوعة في مصر في باب السين ص٣٥) قال القزويني : « في الاشكال انهُ حيوان يوجد في الغياض تكامل في قصبة انفهِ اثنتا عشرة ثَقْبَة ذا تنفّس يُسمع من انفهِ صوت كصوت المزامير والحيوانات تجتمع عليهِ لاستماع ذلك الصوت فاذا دهش بعضها لذلك يصيدهُ فيأكلهُ فان لم يتهيّأ لهُ صيد شيء منها وضجر صاح صيحة هائلة فتتفرق الحيوانات وتفرّ عنهُ »

وفي حاشية ذلك الجزء في الصفحة ٢٠٣ جاء ذكر هذا الحيوان الغريب باسم « سرْباس » . وهذا نص ما جاء هناك : « قالوا انهُ حيوان يوجد في الغياض بكابُل وزابلستان في قصبة انفهِ اثنا عشرة ثقبة (كذا) اذا تنفّس يُسمع من صوتهِ صوت المزمار اتخذ على مثال قصبة انف ذلك الحيوان . فالحيوانات تجتمع عليهِ لاستماع ذلك الصوت فربما تدهش من لذة استماعها فاذا رأى سرباس ذلك منهم (كذا) يصيد منهم (كذا) ما شاء وان لم يرد صيد شيء منها او ضجر منها ومن اجتماعها عليهِ صاح فيهم (كذا) صيحة عظيمة هائلة تنفر كلها عنهُ والله الموفق »

ففي الروايتين اختلاف بيّن في الاسم والتعريف . وهذا في نسخة واحدة مطبوعة في مطبعة واحدة وقد تولّى امر نشر الكتابين رجل واحد . فما قولك في النسخ الخطيّة ولاسيما اذا كان كتّابها مختلفين ؟ — فلا جرم ان ارباب الاقلام أدخلوا فساداً عظيماً على ما دونهُ السلف وما علينا الآن الاّ الجدّ والسعي لتقلية تلك الكتب واظهار ما وقع فيها من العواثير .

(١) انكر بعض كتبة العصر تاف يوف الثلاثي مع انها افصح من اناف ينيف

وسيرناس في معجم فلرس Vullers الفارسي اللاتيني ما معرّبهُ نقلاً عن فرهنك، الشوزيّ : « طائر بحريّ يكون في افريقية طويل المنقار مُشَقّبُهُ يُخرج غناء ويزعم الافريقيون انهم تعلموا صنع المزامير منهُ . وكذلك النفخ فيها . وقد قال الاستاذ لطيفي هذا البيت :

اي بانواع نغم چون سيرناس مي نشداز نعمهاي سيرناس. اه ومعناهُ : « انهُ وانكان فيهِ انواع النغمات كنغمات السيرناس الاّ انهُ هيهات ان تكون تلك النغمات نغمات السيرناس »

فانظر الى هذا التصحيف المختلف باختلاف الكاتب . دع عنك قول من يجعلهُ في افريقية ومن يجعلهُ في الغياض (بدون تعيين موقع تلك الغياض من بلاد الله) او في كابل وزابلستان

وجاء في حياة الحيوان الكبرى المطبوع في القاهرة سنة ١٢٩٢ في ٢ : ٤٤ في الحاشية : « قولهُ ابو سيراس هكذا في بعض النسخ وفي بعضها « سيراسين » وفي بعضها « سرافر » وفي بعضها سيرامس وفي بعضها غير ذلك . ولم اقف على شيء من هذا في القاموس . فليحرّى بالمراجعة من مظانهِ . اه مصححهُ (٢)

وقال دوزي في كتابهِ الملحق بالمعاجم العربية في مادة س ري ن س : سريانا س : ضرب من طير البحر يُسمّى ايضاً الزامر، كما ورد في كتاب خطيّ من مخطوطات الاسكوريال برقم ٨٩٣ وليس سريانس كما اوردهُ قصيريّ في ١ : ٣٢٠ وشرحهُ بقوله « طائر بحريّ طويل المنقار مختلف الغناء طيبهُ وعجيبهُ » . اه تعريباً

فزادنا هذان المستشرقان نقلاً عن العرب تصحيفين آخرين . وهذه الكلم على اختلاف الروايات فيها يختلف ضبطها اذا ما ضبطها بعضهم وقد لا يهتدى الى التلفظ بها اذا كانت غير مضبوطة بالشكل الكامل . وفي ذلك من العناء ما لا يتصوّرهُ الاّ من عالج التفرّغ لهذه المباحث الوعرة .

والافرنج الذين نقلوا الى لغتهم كتاب حياة الحيوان الكبرى او كتاب عجائب

(٢) ونحن ايضاً قد نقرنا عن هذه الالفاظ مع اختلاف رواياتها في معاجم الاقدمين والمحدثين من عرب واعاجم فلم نجد لها اثراً فيها . اللهم الا كلمة سيرناس فقد وجدناها في معجم فرهنك الشوري على ما اشار اليها فلرس وقد ضبطها فرهنك بكسر السين وسكون الياء المثناة التحتية والراء المهملة وفتح النون يليها الف ثم سين

المخلوقات لم يستطيعوا ان يهتدوا الى سواء السبيل فنقلوا الألفاظ العربية على علاتها مع اختلاف في القراءة ولم يستطيعوا ان يعرفوا الحيوان المعنيّ بذلك اللفظ

٢ تحقيق اللفظة

واظن ان الرواية الحقيقية للفظة (ابو سيراس) هي (رنوسيراس) فكُتبت في العهد الاول بدون تنقيط هكذا (روسيراس) فظنها النساخ (ابو سيراس) فقرأها (ابو سيراس) ثم تكهنوا التكهنات الغريبة في قراءتها وتأويلها فتولدت منها تلك الروايات العديدة الغريبة

٣ مرادفاتها

و(رنو سيراس) او (ابو سيراس) او (سيراس) او (سبراس) او ما شئت ان تقرأها هو اليونانية Rhinoceros اي الكركدن . ومن اسمائه التي ظفرنا بها وجاءت في كتب العرب : المرميس والهرميس والحريش والنوشان والنُشّان والرّيم والسيناد ووحيد القرن والكركند والحمار الهندي وابو القرن والانثى ام القرن والنزك والغندا الى غيرها مثل الزبعرى واليناموك او اليحمور وكلها واحدة في المعنى

٤ تدقيق النظر في وصف العرب لهذا الحيوان

هذا الحيوان يُرى اليوم في غياض بلاد الهند وفي كابُل وزابلستان. وهذا الكلام يتفق في ايراده الاقدمون من العرب والمحدثون من اهل الغرب . واما انهُ على انفهِ قصبة فهو كلام مبني على انّ لهذا الحيوان قرناً واحداً وقد يكون لهُ قرنان مع قرن ثالث . فاعتبروا هذا القرن قصبةً وفي ذلك تسامح ظاهر ليكن قولهم : فيهِ اثنتا عشرة ثقبة واذا تنفس يسمع من انفهِ صوت كصوت المزامير فهي حكاية مبنية على ما نقلهُ العرب ايضاً عن الفقنّس(٣) ووصفوهُ على ما وصفوا هذا الحيوان الاّ انهم قالوا عنهُ انهُ طائر ونسبوا مثل هذه الحكاية ايضاً الى نوع من السمك سموهُ بالزّامر لهذا السبب وسماهُ الافرنج Siréne وبالرومية

(٣) للفقنس حكايات مختلفة . والكلمة يونانية الاصل وقد صحفها العرب بصور عديدة مع تقديم وتأخير في الحروف وزيادة في تلفيق الحكاية . وقد وردت بصورة فقنس وقفنس وفنقس وقنفس وبنجس وبجنس الى غيرها . راجع تاج العروس والقاموس وحياة الحيوان الكبرى وما ضاهاها من كتب متون اللغة وعلم الحيوان . وقد ذكروه باسم القوقيس او القوقنس او الفونقس الى غيرها كما هو المألوف في نقل الالفاظ الاعجمية الى العربية حينما لا تأتلف حروفها مع صيغ حروف العرب واوضاعهم

Siren وباليونانية Seiren فنشأت الاختلافات في حقيقة الحيوان بين قائل بانهُ سمكة وبين ذاهب الى انهُ طائر وبين مصرّح بانهُ حيوان. فضاعت الرواية الصادقة بين هذه الآراء المتضاربة المتخالفة

والذي ساعد هذه الرواية الكاذبة على التفشي بين حملة الاقلام من الادباء الضعفاء البصر أنّ التصحيف الوارد بصورة (سرناس) قريب من (سرناي) وهي الآلة المعهودة في بلاد الشرق باسم (الزُرنا) او (الزُرنة) او (السُرناي) وهي عندي مركبة عن (الصور) و (الناي) فصارت بالنحت (الصُرناي) كما وردت في رحلة ابن بطوطة في وجودهِ في القسطنطينية ثم اختلفت فيها الروايات — وهي كثيرة وقد جمعت منها الخمس عشرة — حتى صارت الى ما ترى كما انها قريبة لفظاً من كلمة Swingos اليونانية التي معناها السرناي او الصرناي ايضاً

واللفظة اليونانية (سيرن) تعني الخيلان (٤) وهي على ما يزعم اهل القصص خلْق وجههُ وجه امرأةٍ وذنبهُ ذنب سمكة وتعني ايضاً ضرباً من الطير فهان على النقلة الزلق في مهواة الوهم

ثم ان اللغة «سُرْياناس» ويقال سُرْيانَس» خلافاً لما ذهب اليهِ دوزي، ما هي الاّ تصوير الكلمة اليونانية Seirênaios بحروف عربية بمدّ الحروف او بقصرها. ومعناها «الخَيْلاني» اي المنسوب الى «الخيلان» اعتبروا الوصف موصوفاً كما يقع مثل ذلك كثيراً في نقل الفاظ الاعاجم

وسبب خروج قول العرب عن منقول كلام اليونان هو اتباعهم الفرس الذين عدلوا عن القول المألوف لما ذكرناهُ من مقارنة اللفظة اليونانية للفارسية «سرناي» أو لانّ اللفظة اليونانية المذكورة تدل على طائر ايضاً وكان قد علق بذهنهم حكايات القنّس فظنوا ان هذا وذاك واحد مع اختلاف في الاسم لاغير

(٤) لم اجد في معاجم العرب كلمة الخيلان بهذا المعنى الا انهُ وجدتها في محيط المحيط للبستاني وهو نقلها عن «احكام باب الاعراب» للمطران حرمانوس فرحات. وهذا لم يسندها الى رواية ثبت والرجل كثيراً ما جمع بين الغث والسمين من الالفاظ ولم يتثبت فيها صدق الرواية او حق النقل. واظن ان الكلمة ارمية ومعناها: «القوي او القدير» لما ينسب الى هذا الخلق الوهمي من عجيب جلب الركاب الى صوته الرخيم الغنم واسقاطهم في احبولته كانك تصفه بالقوي في جلب الركاب اليه. وسمته العرب «بنات الماء» على ما في حياة الحيوان والمفرد «بنت الماء» واظن ان الذكر منه يعرف «بانسان الماء». وقد ذكر الدميري كلتا اللفظتين في كتابه المشار اليه

واما الزّامرُ فهو تعريب معنويّ للسرناس وقد وجد السلف فيه مشاكلة للفظ السرناي والسرناي مرتّب عندهم بالمزمار فلما نسبوا الفعل الى فاعل لم يجدوا بُدًّا من تسميتهِ باسم يدلّ على الفاعلية فنشأ لفظ الزامر بمعنى السرناس وهو تسمية مخطوءة مبنية على حكاية ملفقة بنيت على ان الزنوسيراس او الاياسيّراس ذو منقار فيهِ اثنا عشر ثقباً . وكل ذلك وهم على وهم في وهم

اما اليوم فلا يجوز لنا هدمُ ما بناهُ السلف فيجب ان نقول ان الاسم ابوسيراس هو الزنوسيراس ويفيد معنى السيرس Sirène ايضاً ويطلق عليهما الزامر لمشابهة قرن الكركند المزمار فيكون الزامر على معنى النسب اي ذو المزمار كما يصدق الزامر على السيرس نفسها لما نُسب اليها من طيب الغناء كأنها تزمر بمزمارٍ فحقّ لها ان تسمى زامراً من باب النسب كما المعنا اليهِ أو لان صوتها صوت رجل زامر — وهو الهادي الى الصواب

كلدة

السل والامراض التدرنية

(تابع ما قبلهُ)

دخول العدوى جسم الانسان

تدخل العدوى جسم الانسان باحدى الطرق الآتية

الاولى التلقيح وكثيراً ما يكون بمشرط الجراح او الجرح المكشوف . فان الجلد يغطي الجسم كلهُ ويقيه من المكروبات لانها لا تنفذهُ بسهولة الاّ اذا وجد فيهِ جرح . وجلد كبار السن اقدر على حمايتهم من جلد الاطفال . واما الغشاء المبطن للانف والحلق والقصبة والشعب فيمنع دخول المكروبات متى كانت خلاياهُ الهدبية سليمة وكان خالياً من الجروح وغير كثير القلوية

والثانية الاستنشاق وسيرد الكلام عليهِ في مكان آخر .

والثالثة القناة الهضمية فاذا وضع عصير المعدة على مكروب السل اماتهُ بما فيه من الحامض الهدروكلوريك . اما اذا وصل المكروب الى المعدة مع الطعام فلا يقوى العصير المعدي على اماتتهِ لان الحامض الهدروكلوريك الذي فيهِ يضعف فعلهُ بامتزاجهِ بالمواد الغذائية